

علم الآثار الإسلامية

نعني بالآثار الإسلامية كل ما وصل إلينا من آثار مادية وتحف تطبيقية من العصور الإسلامية المختلفة السابقة ، وهي متنوعة الأشكال فهناك العمائر والمنشآت بأنواعها وطرزها المختلفة ، وهناك التحف التطبيقية مثل منتجات الخزف والزجاج والأخشاب والسجاد والنسيج وغير ذلك . ونظرا لأن هذه الآثار والتحف تعود إلى عصور إسلامية متنوعة يطلق عليها بوجه عام مصطلح الآثار الإسلامية ، أي أنها تنسب إلى العصر الإسلامي لأنها نتاج هذا العصر بعهوده أو فتراته المتنوعة ، ولكن هناك ملحوظة جديرة بالإشارة وهي أن هذه الآثار الإسلامية ليست كلها بطبيعة الحال آثار أو عمائر دينية ، ونحن هناك عمائر وآثار مدنية كالقصور والمنازل ، وأخرى عسكرية كالقلاع والأسوار والأبراج ، وآثار أو منشآت تجارية كالأسواق والفنادق والوكالات ، ومنشآت خيرية كالأسبلة.

أيضا هناك التحف التطبيقية التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالإنسان المسلم مثل تلك المستخدمة في حياته اليومية العادية مثل أدوات المائدة أو المطبخ المصنوعة من الخزف والمعدن والزجاج ، والتحف الخشبية

والسجاد والمنسوجات ، والتحف المعدنية ، وهي أدوات مرتبطة بالاستخدام اليومي المدني ، وبمعنى آخر ليست الآثار الإسلامية كلها آثار دينية إسلامية ، ولكن لفظ إسلامية أو إسلامي يقصد به تلك الآثار والتحف التي تخلفت من عصور إسلامية متنوعة ومن عمل الفنان المسلم .

وفي الحقيقة فإن الآثار الإسلامية تتميز بمكانة مهمة ومرموقة بين أنواع وطرز الآثار الأخرى ، وذلك لأن هذه الآثار تنتشر على مساحة شاسعة من المعمورة ، وبعبارة أخرى فكل البلاد التي فتحها المسلمون أو وصلت إليها الحضارة والدين الإسلامي زينت بمختلف أنواع العمائر الإسلامية الدينية والمدنية ، وكما هو معروف فإن العالم الإسلامي يشغل موقعا هاما على خارطة العالم حيث إنه يمتد من بلاد التركستان وحدود الصين شرقا حتى بلاد المغرب المطلة على المحيط الأطلسي غربا ، ومن آسيا الصغرى ووسط أوروبا شمالا حتى وسط أفريقيا جنوبا.

أيضا تُغطي الآثار والحضارة الإسلامية فترة زمنية طويلة منذ بداية ظهور الإسلام وتكوين الدولة الإسلامية في منتصف القرن السادس الميلادي وحتى العصر الحديث حيث مثّلت الدولة العثمانية وحضارتها آخر حلقات الآثار والحضارة الإسلامية وكانت منتشرة بدورها عبر قارات العالم القديم آسيا وأوروبا وأفريقيا . وبعبارة أخرى أن الحضارة الإسلامية حضارة ممتدة منذ ظهورها وحتى الآن وليست حضارة قديمة أو مندثرة كالفرعونية والرومانية والبيزنطية وغيرها ، ولا تزال الشعوب الإسلامية في العصر الحديث تساهم بدورها في مسيرة تلك الحضارة العظيمة (الإسلامية) على الرغم مما أصابها من بعض مظاهر الضعف، وكما اهتمت الشعوب القديمة بآثارها وفنونها اهتم المسلمون أيضا بالآثار والكتابة عنها خاصة تلك الآثار التي كانت مرتبطة بالأماكن المقدسة عند

المسلمين مثل مكة المكرمة وما بها من آثار ، وكذلك المدينة المنورة التي شيد بها الرسول الكريم ﷺ مسجده الأول في الإسلام ، ومن أمثلة كُتُاب المسلمين الأوائل في هذا المجال الأزرقى (أبو الوليد محمد بن عبد الله) الذي كتب كتاب "أخبار مكة وما جاء فيها من آثار" ، والسمهودي (أبو الحسن بن عبد الله) الذي كتب كتاب "وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" وغيرهم . أيضا اهتم بعض الرحالة المسلمين في العصور الوسطى بوصف الآثار والعمائر الإسلامية التي شاهدها خلال رحلاتهم في البلدان والأقاليم الإسلامية ، ومن أشهر هؤلاء ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي) (٢) ، وكتابه الشهير المعروف " برحلة ابن بطوطة "

ونذكر أيضا في هذا المجال الرحالة التركي المسلم الشهير أوليا جلبي (٤) وكتابه "سياحته"، كذلك اهتم بعض المؤرخين المسلمين بالكتابة

عن الآثار والعمائر الإسلامية ، ويأتي على رأس هؤلاء المؤرخ الشهير المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي) الذي ألف كتابا رائعا خصصه لآثار وخطط مصر والقاهرة وسماه " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " وكذلك ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) وكتابه الشهير "مقدمة ابن خلدون " حيث تحدث عن العمارة في فصل كامل ، ونصل إلى العالم الجليل علي باشا مبارك الذي ألف كتابه الموسوعي عن الخطط والآثار وسماه " الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة " .

أيضاً اهتم بعض الكتاب والمستشرقين الأوروبيين بدراسة الآثار والفنون الإسلامية وذلك منذ منتصف القرن ١٩م ، وقد تطورت هذه الدراسات وغطت كافة نواحي وأفرع الفنون الإسلامية ، ونشير هنا إلى العالم الإنجليزي الشهير كريزول Creswell الذي ألف العديد من المؤلفات عن العمارة الإسلامية ، بالإضافة إلى عمل ببليوغرافيا (كتاب ضخّم مرجعي) جمع فيه نحو ١٢٣٠٠ مؤلفاً عن الفنون والآثار الإسلامية .